كما ذكرنا اذا كانا قد اهلكاهم بمعصيه رسولنا ولم يدفع عنهم ما مكنوا فيه من اسباب
النعيم فانكر ذلك تسويه بين المتماثلين وان هذا محض عدل الله بين عباده ومن ذلك
قوله تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبه الذين من قبلهم دمر الله
عليهم وللكافرين امثالها فاخبر ان حكم الشيء حكم مثله وكذلك دل على وضع امر
سبحانه فيه بالسير في الارض سواء كان السير الحسي على الاقدام والدواب او السير
المعنوي بالتفكر والاعتبار او كان اللفظ يعمهما وهو الصواب فانه يدل على الاعتبار
والحذر ان يحل بالمخاطبين ما حل بامثالهم وليس لهذا امر سبحانه اولي الابصار بالاعتبار
بما حل بالمكذبين ولولا ان حكم النظير حكم نظيره حتى يعبر الفعل منه اليه لما
حصل الاعتبار وقد نفى الله سبحانه عن حكمه وحكمته التسويه بين المختلفين
في الحكم فقال تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون فاخبر ان
هذا حكم باطل في الفطر والعقول ولا يليق نسبته اليه سبحانه وقال تعالى
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء
محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار افلا تراه كيف نبه بالعقول ونبه بالفطر
بما اودع فيها من اعطاء النظير حكم نظيره وعدم التسويه بين الشيء ومخالفه في الحكم
وفي هذا من الميزان الذي انزله مع كتابه وجعله قرينه ووزيره فقال تعالى الله الذي
انزل الكتاب بالحق والميزان وقال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا
معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وقال تعالى الرحمن علم القرآن فهذا
الكتاب ثم قال والسماء رفعها ووضع الميزان ما اراد به العدل والآله التي
يعرف بها العدل وما يضاده والقياس الصحيح هو الميزان فالاولى تسميته بالاسم
الذي سماه الله تعالى به فانه يدل على العدل وهو اسم مدح واجب على كل احد
في كل حال بحسب الامكان بخلاف اسم القياس فانه قد يقسم الى حق وباطل وممدوح
ومذموم ولهذا لم يجيء في القرآن مدحه ولا ذمه ولا الامر به ولا النهي عنه فانه

مورد تقسيم الى صحيح وفاسد فالصحيح هو الميزان الذي انزله مع كتابه والفاسد ما يخالفه
كقياس الذين قاسوا البيع على الربا لجامع ما اشتركا فيه من التراضي بالمعاوضة
المالية وقياس الذين قاسوا الميتة على المذكى في جواز اكلها لجامع ما اشتركا فيه
من ازهاق الروح هذا بسبب من الادمي وهذا بفعل من الله ولهذا نجد في كلام السلف
امر القياس وانه ليس من الدين ونجد في كلامهم استعماله والاستدلال به وهذا حق
وهذا حق كما سنبينه ان شاء الله والآ فيسوغ المستعمل في الاستدلال به قياس
عليه وقياس دلالة وقياس شبه وقد وردت بها في القرآن فاما قياس العلة فقد
جاء في كتاب الله عز وجل في مواضع منها قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم
خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فاخبر تعالى ان عيسى نظير آدم في التكوين
كما مع ما اشتركا فيه من المعنى الذي تعلق به وجود سائر المخلوقات وهو مجيئها
طوعا لمشيئته وتكوينه فكيف يستنكر وجود عيسى من غير اب ومن تفرق حواء
وآدم من غير اب ولا ام ووجود حوى من غير ام فآدم وعيسى نظيران لجمعهما
المعنى الذي يصح تعليق الايجاد والخلق به ومنها قوله تعالى قد خلت من قبلكم
سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبه المكذبين اي قد كان من قبلكم
امم امثالكم فانظروا الى مواقعها واعلموا ان بسبب ذلك ما كان من تكذيبهم
بايات الله ورسله وهو الاصل وانتم الفرع والعلة الجامعة التكذيب والحكم
الهلاك ومنها قوله تعالى الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض
ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم
بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا اخرين فذكر سبحانه اهلاك من قبلنا من القرون
وبين ان ذلك كان لمعنى وهو كفرهم فهم الاصل ونحن الفرع والذنوب العلة
الجامعة والحكم الهلاك فهذا محض قياس العلة وقد اكده سبحانه بضرب من
الاول وهو ان من قبلنا كانوا اقوى منا فلم يدفع عنهم قوتهم وشدتهم ما حل بهم
ومنه قوله تعالى كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا